الفصل الثاني

الإطار النظري

الصورة الذهنية النمطية للعرب والمسلمين في الخيال الغربي

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمـة

يهدف هذا الفصل إلى تقديم الإطار النظري للدراسة الذي يتضمن- أولاً - مقاربة المفاهيم لبعض القضايا المتصلة بالصورة الذهنية والنمطية، ويتناول- ثانياً - بعض العوامل المؤثرة في تشكيل صورة العرب والمسلمين في الخيال الغربي من خلال المحاور الآتية: الاستشراف بوصفه منظومةً معرفية- فكرية، والنظرة الغربية إلى الإسلام، والنظرة الغربية إلى العرب، والنظرة الغربية إلى الحضارة العربية الإسلامية.

مدخل: مقاربة المفاهيم الأولية

مفهوم الصورة الذهنية

يقرر (خضور، 2002 م) أن الأدبيات لا تميز بدقة بين مفاهيم: الصورة النمطية (Stereotype)، والتحامل (الحكم المسبق Prejudice)، والصورة الانطباعية الذهنية (Image). وقد انتشر مفهوم الصورة

obeikandl.com

الذهنية في الخمسينيات وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، ليعبِّر عن منزلة أو هالة (Aura) الفرد أو الحزب أو البلد في الحياة العامة. وقد كان والتر ليبمان أول من استخدم مصطلح الصورة الذهنية النمطية (Stereotype) حيث أوضح في كتابه «الرأي العام» أن الإنسان يتعلم أن يرى بذهنه القسم الأعظم من العالم الذي لا يستطيع أن يراه أبداً، أو أن يلمسه، أو يشمه، أو يسمعه، أو يتذكره، بحيث يصنع تدريجياً لنفسه وداخل ذهنه صورة يمكن الاعتماد عليها عن العالم الذي لا يستطيع الوصول إليه. وأوضح ليبمان أن عملية التنميط تتضمن وسائل تنظم الصور، وانطباعات ثابتة ومبسَّطة، وملامح بارزة منتقاة لتمثل الكل. ويعرف قاموس وبستر الشهير الصورة الذهنية بأنها «مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة الأساس نحو شخص معين أو نظام ما أو طبقة بعينها أو جنس بعينه أو فلسفة سياسية أو قومية معينة».

ويخلص (خضور، 2002م) إلى أن الصورة الذهنية هي مجموعة الأحكام والتصورات والأحكام والانطباعات القديمة المتوارثة والجديدة المستحدثة، الإيجابية منها والسلبية، التي يأخذها شخص (أو جماعة أو مجتمع) عن آخر، ويستخدمها منطلقاً وأساساً لتقييمه لهذا الشخص أو ذلك المجتمع وتحديد موقفه وسلوكه إزاءه.

الصورة النمطية: خصائصها التركيبية وبنيتها الداخلية

يرى (حطب، 1996م) أن الصورة الذهنية-النمطية تجسيد لواقع فكري معين، و لها مقدرة كبيرة على تقنين الفكرة، فهي القالب الذي

تُصَبُّ ضمنه، ويحفظها من الضياع، ويُسهِّل انتشارها. وعندما تتشكل الصورة تصبح في حد ذاتها منطلقاً لعمليات فكرية جديدة تُضاف إلى الصورة، فتبلورها.

و يشير (أبو زيد، 1997م) إلى أن بنية الصورة الذهنية- النمطية تتكون لدى الإنسان تجاه شخص أو شعب معين من ثلاثة عناصر:

1 - مجموعة الصفات المعرفية التي يستطيع أن يدرك بها ذلك الشخص أو الشعب بطريقة عقلانية.

2 - العنصر العاطفي المتعلق بالميل لذلك الشخص أو الشعب أو النفور منه.

3 - السلوك المتمثل في مجموعة من الاستجابات العملية تجاه ذلك الشخص أو الشعب الذي يرى الفرد ملاءمتها له وفقاً للصفات التي أدركها في ذهنه.

ولعل من أهم المواصفات المفصلية المركزية الخطرة للصورة الذهنية- النمطية ما يأتي:

1 - أن المادة التي تتكوّن منها القوالب الذهنية تنتقل من جيل إلى جيل، وقد يستوعبها الطفل قبل أن يعي معنى كلمة أمة أو شعب. ولكن طريقة مزج هذه المواد لكي تنتج في لحظة معينة صورة سارَّة أو غير سارَّة تختلف فيما يبدو باختلاف حال العلاقات السائدة بين حكومات الشعبين كما يشير إلى ذلك بوخاين وهارلي (مسلم، 1986م).

2 - أن خطورة الصورة الذهنية تنبع وفقاً لـ (حطب، 1997م) من كونها تحملُ حكماً قيمياً، وتعكس خياراً، وتعبر عن إدراك. لذا فدراسة

مضمونها وعناصرها وخصائصها وحركتها تُظْهِر طبيعة الإرث الثقافي، والبُعْد الأيديولوجي، والزاد المعرفي.

3 - أن الأحكام المسبقة قوالب سلبية أو رافضة تُتخذ عن شخص أو جماعة من الأشخاص، حيث تحصل هذه الجماعة بسبب المواقف المقبولة على صفات محددة أصلاً، يصعب جداً تصحيحها بحسب إبريل (نقلاً عن: مسلم، 1986) بسبب الجمود والعناد والشحنات الانفعالية، حتى لو تَّم التعايش مع تجربة مناهضة للحكم المسبق.

4 - أن الصورة توقظ عند تشكِّلها أو حين استدعائها مشاعر وأحاسيس معينة، وتدفع باتجاه سلوكيات معينة. وهذا يدل على أن الصورة الذهنية بنية مركبة؛ أي أن موضوعها نفسه عبارة عن مجموعة من الصور الراسخة في الذاكرة الفردية لجوانب متعددة من الواقع. ومن المنظور الاجتماعي، فإن الصورة الذهنية هي الصورة النمطية التي يحملها فرد أو جماعة أو شعب عن فرد آخر أو جماعة، والتي تؤدي دوراً حاسماً في التأثير على التفاعل الاجتماعي للشعب؛ لأن مضمون هذه الصور هو الذي يحدد، وإلى حد بعيد، ما إذا كانت ردود فعل الفرد إيجابية أو سلبية أو محايدة إزاء شخص آخر من ثقافة أخرى أو من عرق آخر أو من دين أو بلد آخر (Al-Qazzaz، 1975).